القرآن والتوراة
(موازنة تستقصي مدى أصالة الكتابيين السماويين)

أ. طيبات لمير

جامعة الأمير عبد القادر

تمهيد:

إن أغلبية سكان المعمورة يحيون على هامش العقيدة الصحيحة، وهي عقيدة توحيد الله تعالى، رب العالمين، وإله الناس أجمعين. ولما كان من أسباب انحراف الناس عن هذا الخط العقدي الصحيح هو ما اعترى مصادرهم العقدية المكتوبة من أخطاء وأباطيل في حق الله تبارك وتعالى ،حق علينا نحن أصحاب عقيدة التوحيد في الإسلام التنبيه إلى الأدلة القائمة على تلك الأخطاء والأباطيل، والعمل في نفس الوقت على إبراز معالم الحق والصواب في مصدر عقيدة التوحيد، وهو القرآن.

وسأكتفي في هذا المقال، بالتحقيق في مدى أصالة أهم مصدر من مصادر عقيدة بني إسرائيل وهو كتاب التوراة، موازنا بالقرآن مصدر العقيدة عند المسلمين، متوخيا في ذلك الموضوعية والتجرد من الذاتية، رغبة في تقريب القارئ عموما والقارئ غير المسلم خصوصا إلى حقائق تدفعه إلى البحث عن مكمن الحق والعدل، ليصحح ويؤصل اعتقاده من جديد.

OуЭ ЖКÆЄ О Ѿ OуЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э r OуЖ‹e Ѿ OуЭ OуЖЎ к e О

I- توثيق القرآن الكريم:

القرآن لغة: [المقروء المكتوب وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، مثاله قول القائل: لم تقرأ جنينا أي لم تضم جنينا في رحمها قط ويكون القرآن مصدر القراءة وهو ما يقرأ كقوله تعالى: **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا** [1]][2]

القرآن اصطلاحا: [القرآن هو الكتاب المنزل على رسول الله صلي الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام لفظا ومعنى وأسلوبا، وهو كلام الله المعجز المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر بلا شبهة المتعبد بتلاوته][3]

والمعروف عن القرآن على غرار الكتب السماوية الأخرى كالتوراة والإنجيل أنه وحي مكتوب كما أنزل من عند الله على رسوله محمد ﷺ، لكن هذه [illegible] كان مسلما بها عند المسلمين استجابة لأمر الله تعالى [illegible] **رسوله والكتاب الذي نزل على [illegible] وكتبه ورسله** [illegible] عند معظم غير المسلمين [illegible] إعطاء القرآن سمة الكتاب السماوي الموحى [illegible] باي وحي جاء بعد وحيها ولا تعترف المسيحية كذلك [illegible] الاربعة القانونية بأي وحي جاء بعد النبي عيسي عليه السلام فهي ترفض أن يكون القرآن وحيا جاء بعد النبي عيس. نظرا لهذا الاعتقاد السائد عند غير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

1- الإسراء / 78.
2- أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، /ص159، ط3،دار الرائد العربي، بيروت لبنان 1982
3- عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، /ص29، طبعة دار عالم الكتب، بيروت لبنان 1985
4- النساء /136.
5-موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة/ص8 ،ط4، الترجمة لدار المعارف، لبنان 1977.

المسلمين ووجوب تصحيحه كانت قضية توثيق القرآن الكريم أمرا ضروريا جدا تقتضيه بصفة خاصة الدراسات المقارنة للأديان والدراسات العقدية.

وسنورد الآن جملة من الأدلة التي نراها أساسية وذات أهمية بالغة في توثيق القرآن الكريم وإثبات أصالة نصوصه مما يدل على أنه كتاب من عند الله وصل إلينا كاملا، خاليا من التحريف، والتبديل:

أولا -التقاني الشديد في تدوين القرآن وحفظه:

1-كان ما يوحى به من القرآن إلى رسول الله ﷺ يثبت كتابة بأمر من النبي نفسه فكان يكتب مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب وليس مجموعا في كتاب واحد[1].

2-كان من عادة النبي وأصحابه حفظ القرآن وترتيله عن ظهر قلب كما أنزل، وعادة الحفظ هذه مازالت مستمرة منذ عهد النبي إلى يومنا هذا مما يشهد على تواتر القرآن ووصوله إلينا كاملا وسليما كما كان على عهد النبي ﷺ.

3-هناك كتبة للوحي في عهد النبي ﷺ وأشهرهم [زيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل. .. كل هؤلاء الصحابة كانوا يقومون بهذه المهمة على عهد النبي ﷺ، وقد أمر بأخذ القرآن عنهم][2].

بعد موت النبي ﷺ أمر الخليفة الأول أبو بكر الصديق واحدا من كتبة الوحي وهو زيد بن ثابت بجمع القرآن المكتوب في الرقاع والعسب، وكان معيار اختياره لزيد صفات يعرفها جيدا فيه، وهي التي نعتها في قوله وهو يخاطب زيدا: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب[3] الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه» فاستجاب زيد

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، /ص238. تح محمد أبو الفضل إبراهيم ط2، دار المعرفة، بيروت لبنان1972م.

2- البخاري، صحيح البخاري، ج6/ص118،نشر وتصحيح وتعليق دارة الطباعة المنيرية ،ط4، عالم الكتب، بيروت لبنان 1985م.

3- مع العلم أن زيدا كان يحفظ القرآن. صحيح البخاري ،ج6/ص118، باب مناقب زيد بن ثابت.

OyØ ЖKÆÇ O Ü OyØ ĸ Ä ЖKŸ Ü Ø r OyЖKe Ü OyØ OyЖKŸ ĸ e O

لطلب الخليفة فجمع من الوثائق ما أمكنه ثم قابل محتوياتها على ما عند الحفاظ [1] كان ذلك من أجل تفادي أي خطا محتمل ولو كان دقيقا في النقل.

5-وفي خلافة عثمان (644-655 م) وبتكليف منه أمر مجموعة من الصحابة المدققين ليقوموا بمراجعة جد دقيقة للقرآن، وبعد أن تمت العملية تم نسخ عدة نسخ من القرآن ووزعت على الأمصار، وهذه العملية التي قام بها الخليفة عثمان تهدف إلى جمع الناس على قراءة واحدة خوفا من الفتنة نتيجة لتعدد القراءات هذا من جهة،ومن جهة أخرى كان التدوين زيادة في الاحتياط الضروري الواجب اتخاذه لنقل النص القرآني كما أنزل على صاحب الرسالة ويتبين ذلك من خلال:

أ-التدقيق في أصالة الوثيقة التي جمعت على عهد أبي بكر و[illegible] حفصة تدقيقا شديدا وذلك كما يلي:

-الكتبة رجعوا إلى الذين كا[illegible] على أصالة النسخة ال[illegible]

[illegible]دات وتتوافق[3].

- [illegible] وعرضه للقرآن أي أن ترتيب الآيات كان توقيفيا[4].

ب- [illegible]ث بين الكتبة من اختلاف في بعض الكلمات من القرآن نتيجة لتعدد القراءات[5] فإن الخليفة عثمان أمر الكتبة أن يحتكموا إلى اللغة الأم وهي لغة قريش: (فإن اختلفتم في شئ أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش) لأن لغة قريش هي القاسم المشترك بين لهجات العرب، وكانت القراءة بسبعة أحرف مرخصة في بداية الدعوة مراعاة لأمية الأمة

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- المصدر نفسه ج6/ص315.
2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ،ج1/ص235.
3. المصدر نفسه /ص235.
4- البخاري، صحيح البخاري ،ج6/ص316، وكذلك السيوطي في الإتقان ج1/ص57.
5- القرآن نزل بسبعة أحرف ومعنى الأحرف السبعة اللهجات المتباينة في لغة العرب، كتباينها مثلا في المد والقصر، والتقديم والتأخير، وإبدال حرف بآخر ...

وتيسيرا عليها ورحمة بها، لأنها أمة متباينة الألسن ولو نزل على حرف واحد لشق على الأمة قراءته. قال ابن عبد البر (463هـ):«فبان بذلك أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة وعادوا يقرأون القرآن على حرف واحد[1].

ج-درءا لما قد يشتبه بين المصحف الذي دوّن في عهد عثمان وبين مصاحف أخرى في حوزة مجموعة من الصحابة، ومحافظة على وحدة القراءة قام الخليفة عثمان بحرق كل المصاحف بعد أن تم تدوين المصحف الجديد ماعدا المصحف الذي كان عند حفصة[2].

مما يدل على أنه سليم ومطابق لما أجمع عليه الكتبة. هذه المنهجية المحكمة هي في غاية الموضوعية والعلمية مما لا يدع مجالا للشك في صحة وسلامة القرآن بعد عملية النقل.

ثانيا: ثبات القرآن على حاله دون تحريف:

بقاء القرآن في حاله كما أنزل على النبي دليل على حفظ الله له. فرغم القرون الكثيرة التي مرت في الحوادث والفتن التي وقعت فيها، وكثرة الفرق والتيارات الفكرية المختلفة حيث يكون القرآن فيما بينها بؤرة للتوتر والتأثر سواء كان ذلك بالطعن والتشكيك فيه كما فعلت اليهودية والنصرانية والفلسفات الشرقية القديمة، أو بالبحث فيه عن حجج تدعم رأي كل فرقة إسلامية فما تذهب إليه من آراء، مثل هذه الظروف المشحونة بالخطورة التي مر بها القرآن ما كان يمكن أن يمر بها دون أن تصل إليه يد التحريف كما وصلت إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم بوضع أحاديث مكذوبة عنه[3]، وكما وصلت إلى الكتب السماوية التي

1- مجلة منار الإسلام /ص24، عدد ذو القعدة 1400هـ، نقلا عن القرطبي. التفسير، ج1/ص42-43.

2- المصدر نفسه /ص27.

3 بعد انكشاف أمر الوضع في الحديث انبرى علماء الإسلام في وضع منهج دقيق للغاية يكشفون به الأحاديث الموضوعة على النبي، وهو منهج تدوين الحديث الذي اشتركت في إنشائه مجموعة من الفنون: كالجرح والتعديل وتراجم الرجال.

سبقته من توراة وانجيل لو لا أن وعد الله يحفظ كتابه كان صادقا نافذا منذ أن أنزلـه علـى رسوله إلى يوم القيامة: "**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**"[1]

ثالثا- الإعجاز القرآني :

يحتوي القرآن الكريم على أوجه كثيرة من الإعجاز كالإخبار بـالغيب وتحقـق ذلـك الإخبار في الواقع، وإعجاز نظامه التشريعي في المجال الاجتمـاعي والجنـائي والاقتصـادي وإعجازه العلمي، وإعجازه البياني...

ولا يمكننا في هذا البحث أن نتعرض لهذه الأوجه من الإعجاز كلها، لكن سنورد فقط علـى سبيل المثال والإيجاز لا على سبيل الحصر والتحليل وجهين من أوجه الإعجاز ال...آني وهمـا الإعجاز العلمي والإعجاز البياني:

1-الإعجاز العلمي:

يتمثل هذا الإعجاز في ال... ...قرآنيـة في عالم الأ... ...يه ورشـاد وصـلاح لل... ...متخصص في ميدان من الميادين إلا أنـه لا يخلو ... إلى بعض الحقائق العلمية التي لم تكتشف إلا بعد قرون طويلة ...ران في شتى فروع العلم المختلفة من فلـك وجغرافيـا وجيولوجيـا وبيولوجيا وزراعة مما يدل على أن هذا القرآن وحي من عند الله، وأنه وصل إلينا سالما من التحريف، ولو كان الأمر خلاف ذلك ما كان لآياته أن تؤيدها الحقائق العلمية،خاصـة إذا علمنا أن الرسولﷺ الذي أنزل عليه هذا القرآن كان أُميّا.قال الله تعالى: **أفـلا يتدبـرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

---

[1] الحجر/9.

2- النساء /82.

وأسرار القرآن العلمية كثيرة واستمرارها ملازم لاستمرار الزمن،وستكشف كلها أو جلها حتى يتبين حقيقة هذا الكتاب العظيم بشكل أكثر، ويعرف العام والخاص أنه من عند الله. قال الله تعالى: **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق**[1].

مثال على الإعجاز العلمي في القرآن في مجال الآفاق:

قال الله تعالى وهو يحثنا على النظر والبحث في الكون لاكتشاف حقائقه: **قل انظروا ماذا في السماوات والأرض**[2] فقد اثبت العلم حديثا بعد اختراع الطائرة والصاروخ وصعود الإنسان إلى الفضاء أنه كلما زاد الإنسان ارتفاعا إلى الأفق كلما شعر بضيق في التنفس الناتج عن نقص في كمية الأوكسجين كلما ابتعد عن الغلاف الجوي القريب من الأرض.

لذلك نجد الركاب في الطائرة يتلقون تعليمات حول استعمال طريقة التنفس الصناعية كلما شعروا بضيق في التنفس. هذه الحقيقة التي أثبتها العلم أشار إليها القرآن قبل أن يعرفها الإنسان اليوم في القرن العشرين. قال الله تعالى: **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون**[3]. وقد كان المفسرون يفسرون هذه الآية بعيدا عن حقيقتها كما نعيشها اليوم ونحن نرتفع إلى الفضاء بالطائرة أو الصاروخ لعدم معايشتهم إياها، ويكتفون بتفسيرها تفسيرا مؤولا كقولهم عن قوله تعالى كأنما يصعد في السماء أي كمن يحاول الصعود إلى السماء وهو لا يقوي على ذلك[4].

2-**الإعجاز البياني للقرآن**: ماخلا رسول من الرسل إلا وآتاه الله معجزة تشهد على صدق رسالته، معجزة تناسب وما برع فيه قومه في ميدان من الميادين، فكانت من بين

1- فصلت /52.
2 - يونس /101.
3- الأنعام /126.
4- عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي /ص55، ط26، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1985م.

OÿØ ЖÆÇ O Ü OÿØ ת Ã ЖŸ Ü Ø ר OÿЖe Ü OÿØ OÿЖŸ ת e O

معجزات سيدنا موسى عليه السلام معجزة العصا التي أبطل بها سحر السحرة لأن قوم فرعون برعوا آنئذ في هذا الميدان.على غرار ذلك كانت معجزات الأنبياء ومنهم النبي محمد ﷺ، فكان قومه أشد ما يكونون في براعة الكلام وبيانه نثرا وشعرا، في البلاغة والفصاحة فجاءهم معجزة القرآن تتحداهم في ميدانهم الذي ألفوه وأشربوا به، جاءهم القرآن بلسانهم العربي الواضح البّين، لكن بأسلوب رفيع مدهش في علو نظمه ومباينة خصائصه لخصائص كل نوع من أنواع البيان العربي من نثر وشعر. ومما يؤيد هذا الإعجاز أنه مقرون بالتحدي الإلهي للإنس والجن على إتيانهم بمثل هذا القرآن إن استطاعوا وهو ما تعبر عنه الآيات الآتية: أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون[1].قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[2].

كما أن [illegible] كان جائزا على الله بأن يصر [illegible] ع قدرتهم على ذلك تحقيقا لإرادة الله النافذة [illegible] ره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون[3]. فإن القرآن يبقى معه [illegible] حالات الأخرى كإخباره بالغيوب وإعجازه العلمي، فأبلغ الناس في العربية وأبينهم فيها وافصحهم لو كان قادرا على الإتيان بمثل هذا القرآن على سبيل الافتراض لعجز حتما أن يأتي به إخبار صادقا بالغيب أو إعجازا علميا في الأنفس والآفاق، وبالتالي فإن تحدي القرآن الذي يجعله معجزا هو تحد للتعجيز إظهارا لصحة مصدره وصدق من جاء به لعلم الله سبحانه بعدم قدرة الجن والإنس أو غيرهما على الإتيان بمثل هذا القرآن، ولذلك فإننا نرى أن آيات التحدي تدل على التعجيز الحقيقي فهي من قبيل قوله تعالى: قل

1- هود/13-14.
2- الإسراء /88.
3- يس/81.

هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[1] وقوله: فإن كان لكم كيد فكيدون[2]. وقوله: يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب[3]. وليست آيات التحدي من قبيل الصرفة لذلك لا عجب أن نجد بعض علماء الإسلام أمثال الباقلاني (ت 403 هـ) يرفض القول بالصرفة[4]. أما قول الكفار: ولو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين[5]، فهو مجرد ادعاء باطل، لأن القرآن جاءهم بالتحدي المقرون بالتعجيز بأسلوب يثير فيهم الحمية ويغريهم بتكلف المعارضة في مثل قوله تعالى: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين[6]. ولأن القرآن أبطل دينهم وسخر من آلهتهم وسفّه أحلامهم وفرق جمعهم، كانت هذه الأسباب كلها دواع وحوافز للإتيان بمثل هذا القرآن لو كان ذلك في استطاعتهم. وقد حاول بعض الأدباء الكبار أمثال عبد الله بن المقفع (ت 727م) الذي عكف ستة أشهر كاملة طمعا في الإتيان بكلام مثل القرآن، ولكنه عجز واعترف بعجزه عن الإتيان ولو بآية واحدة متناسبة آيات القرآن[7].

رابعا - تواتر القرآن :

القرآن وصل إلينا بالتواتر الموجب للإدراك والتسليم اليقينيين ولم يصل إلينا بطرق موجبة للظن، فالقرآن نقله ورواه جمع كبير يتعذر إحصاؤهم عن جمع كبير آخر مثله حيث أنهم من

1- البقرة/110.
2- المرسلات /39.
3- الحج/73.
4- عبد الرحمن مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن /ص116، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1978م.
5- الأنفال/31.
6- البقرة /22-23.
7- وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى /ص173-174، ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة وتقديم عبد الصبور شهين، ط7. المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. 1977م.

OyØ ЖKÆÇ O Ü OyØ ĸ Ä ЖKŸ Ü Ø r OyЖ•e Ü OyØ OyЖKŸ ĸ •e O

الكثرة يستحيل تواطؤهم على الكذب ويتصفون بالثقة والعدل والتقوى الأمر الـذي يجعـل تكذيبهم أمرا غير معقول. وتبدأ الحلقة الأولى لهذه الجموع من عصر نزول القرآن وتنتـهي في آخر الحلقة عند نهاية آخر جيل يصل إليه هذا القرآن، وهؤلاء الجموع الذين نقلوا إلينا هـذا القرآن لم يختلفوا في النص القرآني المنقول إلينا سواء تعلق الأمر في زيادة أحدهم عن الآخـر في آياته أو سوره أو أسلوبه أو غير ذلك، فقد اتفقوا جميعا في نقل هذا القرآن كما أنزلـه الله على نبيه من غير زيادة أو نقصان أو تبديل أو تعديل، ومما يدل على ذلك المنهجية الدقيقـة والمحكمة التي دون بها القرآن حين أريد له أن يجمع في مصاحف ليعمم على المسلمين وليحفظ من التحريف أو التبديل كما بينا ذلك سالفا.إننا لا نملك أمام هذه الأ[illegible] أن نسلم تسليما يقينيا أن القرآن ذو مصدر إلهي كما قال تعالا[illegible] آن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذ[illegible] رب العالمين[1].

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ال[illegible] حا هي:[أسفار موسى الخمسة باعتبار موسى الوسيط [illegible] بنو إسرائيل على هذه الشريعة][2] والتوراة في القرآن هي وحي الله تعالى إ[illegible] رسول موسى عليه السلام: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيـون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكـانوا عليـه شهداء[3]. ويطلق عليها أيضا اسم أسفار موسى الخمسة وهي: التكوين والخروج واللاويون أو الأحبار والعدد والتثنية. وتسمية كل سفر باختصار ترجع إلى المحتوى الذي يعالجه. فـالتكوين يشير إلى عملية خلق السموات والأرض وما فيهما وكذلك خلق الإنسان. والخروج يـروي قصة خروج بني إسرائيل من مصر إلى صحراء سـيناء ثم إلى أرض الكنعـانيين بفلسـطين.

1- يونس/37.
2 -الرهبانية اليسوعية،كتب الشريعة الخمسة /ص58.دار الشرق،بيروت،لبنان،د.ت
3-المائدة /44.

والأحبار يشير إلى دور الأحبار أي علماء اليهود في تشريع العبادة. والعدد يشير إلى عملية إحصاء عدد الأسباط في بني إسرائيل. والتثنية يشير إلى عملية تكرار الشريعة أي يروي مرة ثانية الكثير من الأخبار والتشريعات التي ذكرت في الأسفار السابقة.

لكن السؤال الواجب طرحه ونحن بصدد توثيق أو البحث عن أصالة التوراة هو: هل التوراة أي الأسفار الخمسة الحالية هي التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام أم ليست كذلك؟

إن سفر التثنية يشير إلى كون موسى نفسه هو كاتب هذه التوراة.« وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ بني إسرائيل»[1]. ونحن لا نتسرع في تصديق أو تكذيب هذا النص ريثما نتبين ذلك.خاصة وأن الإشكال المطروح يتعلق ببقاء التوراة على حالها كما نزلت على موسى ولا يتعلق بكتابة موسى للتوراة أو عدم كتابتها. وللوصول إلى الفصل في الإشكال المطروح آنفا نستعرض جملة من المعطيات الآتية:

أولا- التوراة ذات مصادر متعددة:

قادت الملاحظات المتعمقة الباحثين في التوراة إلى حقيقة مؤداها أن التوراة الحالية ألفت انطلاقا من أربعة مصادر هي:

1-المصدر اليهوي: سمي هذا المصدر باليهوي لأنه يسمى الله يهوه وهو أحد أسماء الله الرئيسية وأعظمها شأنا في اليهودية، نشأ هذا المصدر في عهد النبي سليمان(950ق م) في الأوساط الملكية في أورشليم والميزة الأساسية لهذه الرواية أو هذا المصدر؛ أنه كثيرا ما يشبه الله ويجسده على غرار صفات الإنسان[2].

1-تثنية 31 :9.

2-استيفان شربنتيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس /ص36، ترجمة صبحي حموي اليسوعي، ط2، دار المشرق، ش م م، بيروت، لبنان ،1986م.

OуЭ ЖКÆÇ О Ѿ OуЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э r OуЖ e Ѿ OуЭ OуЖЎ к e О к

2-المصدر الإيلوهي: سمي بالإيلوهي لأنه يسمى الله في التوراة إيلوهيم، نشأ هذا المصدر حوالي (750 ق م) في المملكة اليهودية الشمالية بعد انقسام مملكة داوود وسليمان إلى مملكة شمالية وأخرى جنوبية. ويولي هذا المصدر اهتماما كبيرا بالأنبياء مثل إبراهيم وموسى وإليا واليشاع وغيرهم[1].

3-مصدر تثنية الإشتراع: هذه الرواية موجودة بشكل أكثر في التوراة في سفر التثنية وقد بدئ وضعه في مملكة الشمال وانتهي منه في مملكة الجنوب، ويتميز هذا المصدر باستخدام الأسلوب العاطفي بهدف الإقناع، وبكثرة تكرار العبارات: الرب الهك، أسمع، أذكر يا إسرائيل. احفظوا الوصايا، والأحكام والعادات[2]. وهي عبارات تعج بها التوراة الحالية.

4-المصدر الكهنوتي: نشأ هذا المصدر أثناء السبي البابلي لليهود -[illegible] ق م) حيث كان الكهنة في المنفى يجددون تقاليدهم [illegible] في الخلاص. وتمتاز هذه الرواية في ال[illegible] عربة اليهود في بابل، [illegible] الشعب اليهودي أكثر من الملـ[illegible] ب الاحيان طقسية تهتم بشؤون العبادة[3].

إذن هذه [illegible] التوراة جاءت بعد سيدنا موسى فكيف يكون موسى هو كاتب [illegible] هذه التوراة هي التوراة التي أنزلت على موسى؟

ثانيا- التناقض في التوراة: التوراة الحالية تحتوي على تناقضات كثيرة في إيراد المعلومات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

1-المعروف أن عهد رسالة سيدنا موسى لم يعرف نظام الملكية في حين نجد في التوراة التي بين أيدينا إحصاء لأسماء الملوك الذين جاءوا بعد موسى بقرنين:« وهؤلاء هم الملوك

1-المرجع السابق/ص50.
2-المرجع السابق/ص56.
3-المرجع السابق /ص70. وكذلك، موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة /ص23-26.

الذين ملكوا في أرض أدوم »[1] مما يدل أن كاتب التوراة ليس موسى وإنما هو كاتب عـــاش بعده بعد أن عرف اليهود نظام الملكية.

2-كما أنه من غير المنطقي أن يسجل موسى عليه السلام في التوراة حادثـــة وفاتـــه والحالة الجيدة التي كان عليها وهو ميت ويعين مكان القبر الذي دفن فيه وهو مازال على قيد الحياة لكن التوراة الحالية تذكر هذا الإدعاء الغريب.تقول التوراة :« فمات هناك موسى عبـد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فـــاغور و لم يعرف ولو إنسان قبره إلى اليوم وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين موته و لم تكـل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مؤاب ثلاثين يوما»[2].

3-ذكرت التوراة حادثة عبور موسى نهر الأردن والواقع أنه لم يعبر الأردن[3] والنص في التوراة هو:«وهذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل في عبر الأردن في البرية»[4].

4-موسى في التوراة لا يرد اسمه بصيغة المخاطب من الله للدلالة على أن هذه التـــوراة وحي من الله تلقاه موسى بالفعل وإنما يرد بصيغة المتحدث عن نفسه وهو غائب، وهو مـا لا يقبل في كتب الوحي الإلهي:«وأما الرجل موسى فكان حليما جدا اكثر من جميـــع النـــاس الذين على وجه الأرض»[5]. «وأيضا الرجل موسى كان عظيما جدا في أرض مصر في عيـون عبيد فرعون وعيون الشعب»[6]. فهل يعقل أن يكون الوحي الإلهـــي يحـوي مثـل هـذه التناقضات؟ ويعترف موسى بن ميمون (1135-1677م) الفيلسوف اليهودي الكبير وأشـــد المدافعين عن التوراة بالتناقضات الواردة في التوراة[7].

1-تكوين 36: 31.
2-تثنية 34: 5-7.
3-باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة /ص22، ط2، ترجمة حسن حنفـــي، مراجعـة فـؤاد زكرياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1981م.
4-تثنية 1: 1.
5-عدد 12: 3.
6-خروج 11: 3.
7- موسى بن ميمون ،دلالة الحائرين /ص18-23، ترجمة حسين آتاي، نشر مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

OУЭ ЖКÆÇ О Ѿ OУЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э г OУЖ•е Ѿ OУЭ OУЖЎ к •е О к

ثالثا-التوراة ألفها كاتب جاء بعد موسى بزمن طويل :

يرى باروخ سبينوزا (1632-1677م) الفيلسوف اليهودي أن عزرا [1] هو كاتب الأسفار الخمسة مستشهدا بجملة من الأدلة منها :

1-إن جميع روايات الأسفار تنتهي قبله.

2-أن عزرا كان باحثا كبيرا في الشريعة اليهودية وناقدا لها في نفس الوقت حتى أن بعض الأسفار سميت باسمه، فبحكم الصلة الوثيقة التي تربطه بالشريعة اليهودية وبحكم مكانته العلمية ينسب إليه سبينوزا كتابة الأسفار. غير أن عزرا في كتابته للتوراة كان عمله ينحصر في جمع الروايات من مصادرها المختلفة ونسخها دون تحقيق أو ترتيب ومما يدل على ذلك :

ا - وجود روايات مكررة لكن بألفاظ مختلفة.

ب- تضارب المعلومات في بعض الروايات المكتوبة

اعمار أبناء آدم والأنبياء.و لم يعط ع

عزرا للتغيير والتبدل

ها التي ألفت منها التوراة جمعت

على يد

كما - بن خليل الهندي يري أن التوراة التي بين أيدينا اليوم ليست توراة موسى وإنما هم عزرا إلى جمعها وتأليفها[4].

رابعا- التحريف في التوراة: هناك نصوص في التوراة لا يمكن أن تكون وحيا من الله ويتورع أضعف الناس إيمانا من تصديقها فهي من قبيل الافتراء، مثال ذلك ما تُقوِّل على النبي

1- وهو الذي يسميه القرآن: عزيرا ،كما أكد ذلك ابن كمون اليهودي في كتابه: تنقيح المل الثلاث/ص32، دار الأنصار، القاهرة ،د.ت.

2-باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة /ص26-27.

3-استيفان شرينتيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس /ص70.

4-رحمة الله بن خليل الهندي، إظهار الحق ،ج1/ص355، تح وإخراج عمر الدسوقي، منشورات دار الكتب، الجزائر ،1988م.

لوط عليه السلام اذ نسب إليه ارتكاب الفاحشة مع ابنتيه فكان له ولدان من كل واحد منهما[1]. وقد أورد الإمام رحمة الله بن خليل أنواعا كثيرة من التحريف هي أكثر تبيانا وتفصيلا يطول ذكرها[2].

خامسا- عدم تعهد الله بحفظ التوراة: إذا كان الله تعالى قد أسند مهمة حفظ القرآن إلى نفسه و لم يكلف بها المسلمين وإن كانوا مطالبين بذلك كأن يقول لهم: وأنتم له حافظون. فإن التوراة خلاف ذلك لم يسند الله أمر الحفاظ عليها إليه وإنما تركه للذين أنزلت إليهم ليقوموا بمسؤولية الحفاظ عليها:« وهذه هي الوصايا والفرائض والأحكام التي أمر الرب الهكم أن أعلمكم لتعلموها في الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها لكي تتقي الرب إلهك وتحفظ جميع فرائضه ووصاياه[3]».« فاحفظوا الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها(...) ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظونها وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان »[4]. «فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم لكي تتشددوا وتدخلوا وتملكوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها[5] هذه الفقرات صريحة في أن معنى الحفظ هو التعهد المستمر لنصوص الوحي الإلهي دون التجرؤ على إتباع الهوى فيها تحريفا أو إخفاء أو إتباعا لغيرها وتركها، إذ لو كان المقصود بها العمل فقط لما اقترنت لفظة الحفظ تقديما أو تأخيرا بلفظة العمل في الفقرات السابقة. كما نجد في القرآن ما يؤيد إسناد الله مهمة حفظ التوراة إلى أهل الكتاب من اليهود: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء[6] لكن هل قام أهل التوراة بهذه المسؤولية وحفظوا ما استحفظهم الله

1-تكوين 19: 30-38.
2-رحمة الله بن خليل، إظهار الحق، ج1/ص335-509.وكذلك ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المجلد الأول، ج1/ص116-153، دار الفكر، 1980م.
3-تثنية 11: 6-3.
4-تثنية 7: 13.
5-[illegible]
6-[illegible]

OУЭ ЖКÆЄ О Ѿ OУЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э ґ OУЖ•е Ѿ OУЭ OУЖЎ к •е О к

نعرف الإجابة عن هذا السؤال بمجرد قراءتنا لبعض نصوص التوراة، هذه النصوص تعتبر سابقة إخبار وإنذار من الله على لسان الرسول موسى بما سيصدر منهم من تفريط في حق الله وفي حق الكتاب الذي أنزل إليهم بما يحملون من صفات لا تؤهلهم لحمل هذه الأمانة العظيمة :

1-افتقادهم للأمانة:« وقال أحجب وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم إنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم»[1].

2-استبدالهم الباطل بالحق :« أغاظوني بأباطيلهم »[2]. وإلى هذه الصفة أشار القرآن: ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون[3].

3-عدمو الرأي والبصيرة في نظرتهم إلى الله وإلى دينه: «إنهم أمة [illegible] بصيرة فيهم »[4].

4-متمردون حين يقتضي الأم[illegible]وده بجانب تابوت عهد [illegible]م ورقابكم الصلب[illegible]رب فكم بالخري بعد موتي»[5]. وقال له[illegible]كم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوص[illegible]م الشر في آخر الأيام »[6].

وإلى هذا الزيغان أشار القرآن الكريم: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم[7].

5-كما أن التوراة لم نعلم عنها أنها حفظت في صدور الرجال كما حفظ القرآن وما زال يحفظ في صدور الملايين من المسلمين حتى الصبيان، ومن تم فإن تحريف أو نسيان التوراة

1-تثنية 32: 20
2-تثنية 32: 21.
3-البقرة /41.
4-تثنية 32: 28.
5-تثنية 31: 26-28.
6- تثنية 31: 29.
7- القصص/5.

أمران واردان خاصة من قبل أولئك الذين يشرفون على قداسته وحفظه من الكهنة والمقربين إليهم والذين هم محل ثقة عند العام والخاص، فتسول لأحد منهم نفسه ولو مرة في تبديل آية مكان آية، وإظهار أخرى بدلها تماشيا مع مآرب خاصة.

سادسا- نصوص التوراة تتعارض والمعارف العلمية الحديثة: المقارنة بين حقائق العلم في القرن العشرين وبعض النصوص التي تعالج بعض الموضوعات وبعض الوقائع الطبيعية وغيرها من الكتب المقدسة كشفت النقاب عن صحة أو خطأ النصوص المقدسة بناء على اتفاقها أو تعارضها مع معطيات علمية ثبتت صحتها لا مع نظريات علمية لم تثبت صحتها بعد، مثل هذه الدراسات المقارنة ما قام به العالم الفرنسي موريس بوكاي تحت عنوان :"دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" وازن في هذه الدراسة بين الكتب السماوية الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن وبين المعارف العلمية الحديثة في عدة مواضيع كعملية الخلق وعلم الفلك وجغرافية الأرض وعلم النبات والحيوان ورواية الطوفان وغيرها. فكانت نتائج الموازنة أن المعطيات العلمية تتفق مع معلومات القرآن بدقة بينما تتفق حينا وتتعارض أحيانا مع نصوص التوراة، مثال ذلك أن التوراة تعتبر الطوفان عملية شاملة عمت كل الأرض وأهلكت كل حي بينما القرآن يجعله خاصا بقوم نوح، وهذه الحادثة لا تتوافق مع المعارف الحديثة فيما يخص حادثة الطوفان[1]، ولا تتوافق أيضا والمعطيات التاريخية.

سابعا-القرآن يكشف عن تحريف التوراة :القرآن الكريم يعترف بالتوراة كوحي أنزل على موسى ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم، وقد ذكرت التوراة ثمانية عشرة مرة بالإضافة إلى ذكرها بأسماء أخرى كالكتاب مثل قوله تعالى: ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة[2]، والبينات والفرقان[3] وغيرها. لكن هذه التوراة لم تبق على حالها كما أنزلها الله على سيدنا موسى وإنما حرفت بشتى أنواع التحريف :

1-موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة /ص53و246.
2-الأحقاف/11.
3-البقرة /52.

OуЭ ЖКÆÇ О Ѿ OуЭ к Ā ЖЎ Ѿ Ə ŕ OуЖ•е Ѿ OуЭ OуЖЎ к •е О к

1-ثبوت التحريف: **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه**[1]. **يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا**[2]. **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**[3].

2-إن التوراة الحالية مكتوبة بأيدي البشر: فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون[4].

3-إخفاء التوراة الحقيقية: وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا[5].يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير[6]

4-الباطل: يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون[7].

5-تحريف الكلام بألسنتهم: وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون[8].

6-**تعطيل التوراة وعدم العمل بها: فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا**

1-النساء /45.
2-المائدة /43.
3-البقرة 74.
4-البقرة 78.
5-الأنعام 92.
6-المائدة 16.
7-آل عمران 70.
8-آل عمران 77.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

منهم[1]. إن شهادة الله تعالى هي أكبر شهادة على أن التوراة الحالية ليست هي التوراة التي أنزلها الله على سيدنا موسى.

نخلص إلى القول أن هناك اختلافا كبيرا في ظروف تدوين كل من القرآن والكتاب المقدس بأقسامه المختلفة. فالقرآن كتاب واحد بلغة واحدة، نزل على رجل واحد خلال فترة زمنية محددة، على عكس الكتاب المقدس الذي أحاطت به ظروف مختلفة أثرت على أصالته، فعدد كتبه كثيرة إلى حد الاختلاف في عددها الشرعي، كما أنها ألفت بلغات مختلفة طوال حقبة من الزمن دامت أكثر من ألف وخمسمائة سنة، قام بتأليفها عدد كبير من الكتبة منهم المعروف ومنهم المجهول، إضافة إلى عدم الانسجام في الأساليب والروايات.

كما عرفت هذه الكتب تطورا لم يتوقف في الصياغة والتعديل[2]، وما ينطبق على الكتاب المقدس ككل ينطبق على التوراة كجزء منه.

1-المائدة 14.

2-للإطلاع على مراحل المراجعة والتعديل للكتاب المقدس يرجع إلى :

The bible –revised standar version-III-VI PUBLISHED BY WM.COLLINS SONS and Co.LTD SECOND EDITION ,**PRINTED** IN GREAT BRITAIN .1971